والناس في عُسْرة شديدة وحين طابت الثمار وأحبّت الظِّلال، فالناس يحبُّون المقام ويكرهون الشخوص عنها على الحال من الزمان الذي هُمْ عليه. وأخذ رسول الله ﷺ عسكره بالانكماش[1] والجدّ، وضرب رسولُ الله ﷺ عسكره بثنيّة الوداع، والناسُ كثيرٌ لا يجمعهم كتاب؛ قلّ رجلٌ يريد أن يتغيّب إلاّ ظَنَّ أنّ ذلك سيخفَى له ما لم ينزل فيه وحيٌ من الله.

فلما استمرّ برسول الله ﷺ سفره وأجمع السير، استخلف على المدينة سِباع بن عُرْفُطة الغِفاريّ ـ ويقال محمد بن مَسْلمة رضي الله عنهما ـ فقال رسولُ الله ﷺ: «اسْتَكْثِرُوا مِنَ النّعالِ، فإنّ الرّجُلَ لا يزال راكباً ما دامَ مُنتعِلاً». فلمّا سار رسول الله ﷺ تخلّف ابن أُبيّ عنه فيمن تخلّف من المنافقين، وقال: يغزو محمد بني الأصفر مع جَهْد الحال والحرّ والبلد البعيد إلى ما لا قِبَل له به!! يحسب محمدٌ أن قتالَ بني الأصفر اللعب؟! ونافق من هو معه على مثل رأيه. ثم قال ابن أُبيّ: والله، لكأنّي أنظر إلى أصحابه غَداً مُقَرَّنِينَ في الحبال[2] ـ إرجافاً[3] برسول الله ﷺ وأصحابه ـ. فلمّا رَحَلَ رسولُ الله ﷺ من ثنيّةِ الوداع إلى تبوك وعقد الألوية والرايات دفع لواءه الأعظم إلى أبي بكر، ورايته العظمى إلى الزّبير، ودفع[4] راية الأوس إلى أسيد بن الحُضَير؛ ولواءَ الخزرج إلى أبي دُجَانة ويقال إلى الحُباب بن المنذر رضوان الله عليهم أجمعين. وكان الناس مع رسول الله ﷺ ثلاثين ألفاً، ومن الخيل عشرة آلاف فرس، وأمرَ كلَّ بَطْن من الأنصار أن يتّخذ لواءه ورايته، والقبائل من العرب فيها الراياتُ والألوية. انتهى بحذف يسير.

اهتمامه ﷺ ببعث أسامة رضي الله عنه في مرض وفاته وشدّة اهتمام أبي بكر الصديق رضي الله عنه بذلك في أول خلافته بَعْث أسامة وانتداب الأوّلين فيه وإنكاره ﷺ على من طعن في تأميره أسامة

أخرج ابن عساكر (١/ ١٢٠) من طريق الزُّهري عن عُرْوة عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما: أنّ النبي ﷺ أمره أن يُغير على أهل أُبْنَى[5] صباحاً وأنْ يحرّق. ثم قال رسول الله

---

(١) بالانكماش: بالإسراع.
(٢) مُقَرَّنين: مشدودين.
(٣) إرجافاً: خوضاً في الأخبار السيئة والفتن قصداً أن يهيج الناس.
(٤) في الأصل «رفع» والصواب «دفع» كما هو الظاهر.
(٥) أبنى: بضم الهمزة والقصر: اسم موضع من فلسطين بين عسقلان والرملة، يقال لها: يبنى، بالياء.

ﷺ لأسامة: «امْضِ على اسْمِ اللَّهِ». فخرج بلوائه معقوداً، فدفعه إلى بُرَيدة بن الحصَيب الأسلمي، فخرج به إلى بيت أسامة. وأمر رسول الله ﷺ أسامة فعسكر بالجُرْفِ(١)، وضرب عسكره في موضع سقاية سليمان اليوم. وجعل الناس يأخذون بالخروج؛ فيخرج من فرغ من حاجته إلى معسكره، ومن لم يقضِ حاجته فهو على فراغ. ولم يبق أحد من المهاجرين الأولين إلا انتدب(٢) في تلك الغزوة: عمر بن الخطاب، وأبو عبيدة، وسعد بن أبي وقاص، وأبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، في رجال من المهاجرين. والأنصار عِدَّة: قتادة بن النعمان، وسَلَمة بن أسلم بن حريش رضي الله عنهم.

فقال رجال من المهاجرين ـ وكان أشدهم في ذلك قولاً عيّاش بن أبي ربيعة ـ: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين!! فكثرت القالة(٣) في ذلك. فسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعض ذلك القول، فردَّه على من تكلم به، وجاء إلى رسول الله ﷺ فأخبره بقول من قال، فغضب رسولُ الله ﷺ غضباً شديداً ـ وقد عَصَبَ على رأسه بعصابة وعليه قطيفة ـ ثم صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أمّا بَعْدُ، أيُّها النَّاسُ فما مقالةٌ بَلَغَتْني عَنْ بَعْضِكُمْ في تأميري أُسَامَةَ؟ فَوَاللَّهِ لَئِنْ طَعَنْتُمْ في إمارَتي أُسامَةَ، لَقَدْ طَعَنْتُمْ في إمارَتي أباهُ مِنْ قَبْلِهِ. وَايْمُ اللَّهِ، إنْ كانَ للإمارَةِ لَخَليقٌ(٤)، وإنَّ ابْنَهُ مِنْ بَعْدِهِ لَخَليقٌ بالإمارة. وإنْ كانَ لأَحَبِّ النّاس إليّ، وإنّ هذا لَمِنْ أَحَبِّ النّاسِ إليَّ، وإنَّهُما لَمخيلانِ لِكُلِّ خَيْرٍ، فاسْتَوْصُوا بِهِ خيراً، فإنَّهُ مِنْ خِيارِكُمْ». ثم نزل رسول الله ﷺ فدخل بيته وذلك يوم السبت لعشر ليالٍ خلَوْن من ربيع الأول.

وجاء المسلمون الذين سيخرجون مع أسامة رضي الله عنه يودّعون رسول الله ﷺ، وفيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ورسول الله ﷺ يقول: «أَنْفِذُوا بَعْثَ أُسامَةَ». ودخلت أمُّ أيمن رضي الله عنها فقالت: أيْ رسول الله، لو تركتَ أسامة يقيم في معسكره حتى تَماثل، فإنَّ أسامة إنْ خرج على حاله هذه لم ينتفع بنفسه. فقال رسول الله ﷺ: «أَنْفِذُوا بَعْثَ أُسامَةَ». فمضى الناس إلى المعسكر فباتوا ليلة الأحد، ونزل أسامة يوم الأحد، ورسول الله ﷺ ثقيلٌ مَغمورٌ(٥) وهو اليوم الذي لَدُّوهُ(٦) فيه، فدخل على رسول الله ﷺ

---

(١) الجرف: اسم موضع قريب من المدينة.

(٢) انتدب: أي دُعوا فأجابوا.

(٣) القالة: أي كثر الكلام بين الناس.

(٤) لخليق: أي لجدير.

(٥) مغمور: أي مغمى عليه.

(٦) اللدود بفتح اللام: ما يسقاه المريض من الأدوية في أحد شِقَّي الفم ـ كما في «النهاية».

وعيناه تهملانِ، وعنده العبّاسُ والنساءُ حوله، فطأطأ عليه أسامة فقبّله - ورسولُ الله ﷺ لا يتكلّم -، فجعل يرفع يديه إلى السماء، ويصبُّهما على أسامة. قال أُسامة: فأعرف أنه كان يدعو لي. قال أُسامة: «فرجعتُ إلى معسكري. فلما أصبح يوم الإثنين غدا من معسكره وأصبح رسول الله ﷺ مُفيقاً[1]، فجاءه أسامة، فقال: «اغْدُ على بَرَكَةِ اللّهِ» فودّعه[2] أُسامة ورسول الله ﷺ مفيق، وجعل نساؤه يتماشَطْنَ[3] سُرُوراً براحته. ودخل أبو بكر رضي الله عنه، فقال: يا رسولَ الله، أصبحت مُفيقاً بحمدِ الله، واليومُ يوم ابنة خارجة[4]، فأْذَنْ لي، فأَذِنَ له، فَذَهَبَ إلى السُّنْح[5]. وركب أُسامة إلى معسكره، وصاح في أصحابه باللحوق إلى العسكر، فانتهى إلى معسكره، ونزل وأمر الناس بالرّحيل وقد مَتَعَ النهار[6].

وفاة الرسول ﷺ ودخول الصحابة المدينة

فبينا أُسامة يريدُ أن يركب من الجُرف[7] أتاه رسول الله أم أيمن رضي الله عنها- وهي أُمّه - تخبره أنّ رسول الله ﷺ يموتُ. فأقبل أُسامة إلى المدينة ومعه عمر وأبو عبيدة، فانتهوا إلى رسول الله ﷺ وهو يموتُ، فتوفي عليه السلام حين زاغت الشمس يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلةً خَلَتْ من ربيع الأول. ودخل المسلمون الذين عسكروا بالجُرف إلى المدينة، ودخل بُرَيْدَةُ بن الحُصيبِ رضي الله عنه بلواء أُسامة معقوداً حتى أتى به بابَ رسول الله ﷺ فغَرَزَه[8] عنده. فلمّا بويع لأبي بكر أمَرَ بُرَيْدَةَ أن يذهب باللواء إلى بيت أُسامة ولا يَحُلّه أبداً حتى يغزو بهم أُسامة. فقال بريدة: فخرجتُ باللواء حتى انتهيتُ به إلى بيت أُسامة، ثم خرجتُ به إلى الشام معقوداً مع أسامة، ثم رجعتُ به إلى بيت أُسامة، فما زال معقوداً في بيته حتى توفي.

إصرار أبي بكر رضي الله عنه على بَعْث أسامة امتثالاً لأمره عليه السلام

فلما بلغ العربَ وفاةُ رسول الله ﷺ وارتدّ من ارتدّ منها عن الإسلام؛ قال أبو بكر

---

(١) مفيقاً: أي رجعت إليه الصحة.
(٢) من «كنز العمال»، وفي «ابن عساكر»: فوعده.
(٣) يتماشطن: أي يمشطن شعورهن ويزينّها.
(٤) ابنة خارجة: إحدى زوجات أبي بكر.
(٥) من «الكنز»، بضم السين والنون، وقيل: بسكونها: موضع بعوالي المدينة، فيه منازل بني الحارث بن الخزرج، وفي «ابن عساكر»: السبح.
(٦) متع النهار: أي طال وامتد وتعالى.
(٧) الجُرف: موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام.
(٨) غرزه: ركزه.

لأسامة: (انْفُذْ في وجهك الذي وَجَّهَكَ فيه رسولُ الله ﷺ) وأخذ الناسُ بالخروج وعسكروا في موضعهم الأول؛ وخرج بُرَيْدَةُ باللواءِ حتى انتهى إلى معسكرهم الأول. فشقّ ذلك على كبار المهاجرين الأوّلين، ودخل على أبي بكر عمرُ وعثمانُ وأبو عبيدة وسعدُ بن أبي وقاص وسعيدُ بن زيد رضي الله عنهم، فقالوا: يا خليفةَ رسول الله، إنّ العرب قد انتقضت[١] عليك من كلّ جانب، وإنّك لا تصنع بتفريق هذا الجيش المنتشر شيئاً، اجعلهم عدّة[٢] لأهل الرِّدّة ترمي بهم في نحورهم، وأخرى: لا نأمن على أهل المدينة أن يُغار عليها وفيها الذراري والنساء، ولو تأخرتَ[٣] لغزو الروم حتى يضرب الإسلام بجِرَانه[٤]، ويعودَ أهل الرِّدّة إلى ما خرجوا منه أو يُفنيهم السيف، ثم تبعث أسامة حينئذ فنحنُ نأمَنُ الروم أن تزحف إلينا.

فلما استوعبَ أبو بكر كلامهم قال: هَلْ متكم أحدٌ يريد أن يقول شيئاً؟ قالوا: لا، قد سمعتَ مقالتنا[٥]. فقال: والذي نفسي بيده، لو ظننتُ أنّ السّباعَ تأكلني بالمدينة لأنفذتُ هذا البَعْث، ولا بدأتُ بأوّل منه[٦]، كيف ورسول الله ﷺ ينزل عليه الوحي من السماء يقول: «أَنْفِذُوا جَيْشَ أُسامَةَ»!! ولكن خصلة أكلَم بها أسامة، أكلّمه في عمر يقيم عندنا فإنّه لا غنى بنا عنه؛ والله ما أدري يفعل أسامة أم لا، والله إن أبى لا أكرهه[٧]. فعرف القومُ أنّ أبا بكر قد عزم على إنفاذ بعث أسامة.

ومشى أبو بكر إلى أسامة في بيته وكلّمه في أن يترك عمر، ففعل، وجعل يقول له: أَذِنْتَ ونفسُكَ طيبة؟ فقال أسامة: نعم. قال: فخرج، وأمر مناديَهُ ينادي: عَزْمَةٌ مني أن لا يتخلّف عن أسامة من بَعَثه مَنْ كان انتدب معه في حياة رسول الله ﷺ، فإنّي لن أُوتَى بأحَدٍ أبطأ عن الخروج معه إلا ألحقته به ماشياً. وأرسل إلى النَّفر من المهاجرين الذين كانوا تكلموا في إمارة أسامة، فغلّظ عليهم وأخذهم بالخروج، فلم يتخلّف إنسانٌ واحدٌ.

---

(١) انتقض القوم على الخليفة: خرجوا عليه وخلعوا طاعته.

(٢) عدّة: ما أعددته من مال وسلاح لحوادث الدهر.

(٣) وفيما نقل في «الكنز»: فلو استأنيت.

(٤) حتى يضرب الإسلام بجِرَانه: أي يقر قراره ويستقيم. والجِرَان عنق البعير، يقال ألقى البعير جرانه إذا مدّ عنقه على الأرض واستراح.

(٥) من «الكنز»، وفي «ابن عساكر»، قد سمعنا مقالتك.

(٦) في الأصل «ولا بدّ أن يؤوب منه» والتصويب من «الكنز».

(٧) في الأصل «لأكرهه» والتصويب من «ابن عساكر».

وخرج أبو بكر يُشَيِّعُ أسامة والمسلمين، فلما ركب من الجُرْفِ في أصحابه وهم ثلاثة آلاف رجل، وفيهم ألف فرس، فسار أبو بكر إلى جنب أسامة ساعة ثم قال: (أَسْتَوْدِعُ الله دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ، إنَّ رسول الله ﷺ أوصاك، فانفُذْ لأمر رسول الله، فإني لست آمرك ولا أنهاك عنه، إنما أنا مُنَفِّذ لأمرٍ أمَرَ به رسولُ الله ﷺ). فخرج سريعاً فوطىء بلاداً هادئة لم يرجعوا عن الإسلام مثل جُهَينة وغيرها من قُضاعة. فلما نزل وادي القُرى قدَّم عيناً[1] له من بني عُذْرة يدعى حُرَيثاً، فخرج على صَدْرِ راحلته أمامه فغزا[2] حتى انتهى إلى أَبْنَى، فَنَظَرَ إلى ما هناك وارتادَ الطريق، ثم رجع سريعاً حتى لقي أسامة على مسيرة ليلتين من أَبْنَى، فأخبره أنَّ الناس غارُّون[3] ولا جموع لهم، وأمره أن يسرع السير قبل أن تجتمع الجموع، وأن يشنَّها غارة. كذا في مختصر ابن عساكر. وقد ذكره في كنز العمال (٥/ ٣١٢) عن ابن عساكر من طريق الواقدي عن أسامة رضي الله عنه. وأشار إليه الحافظ في فتح الباري (٨/ ١٠٧).

استئذان أسامة للرجوع إلى المدينة وإنكار أبي بكر عليه وقصته مع عمر في هذا

وأخرج ابن عساكر أيضاً عن الحسن بن أبي الحسن قال: ضرب رسولُ الله ﷺ بَعْثاً قبل وفاته على أهل المدينة وَمَنْ حَوْلَهم، وفيهم عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه وأمَّرَ عليهم أسامة بن زيدٍ رضي الله عنه، فلم يجاوز آخرُهم الخندق حتى قُبِضَ رسول الله ﷺ. فوقف أسامة بالناس، ثم قال لعمر: ارجعْ إلى خليفة رسول الله ﷺ فاستأذِنْهُ؛ يأذن لي فليرجع الناس، فإنَّ معي وجوهَهُمْ وَحَدَّهُمْ[4]، ولا آمَنُ على خليفة رسول الله وَثَقَلَ[5] رسول الله وأثقال المسلمين أن يتخطَّفهم المشركون. وقالت الأنصار: فإن أبى إلاَّ أن تمضي فأبلغه عنا واطلبْ إليه أن يولِّي أمْرَنَا رجلاً أقدمَ سِنّاً من أسامة. فخرج عمر بأمر أسامة، فأتى أبا بكر فأخبره بما قال أسامة. فقال أبو بكر: لو اختطفتني الكلابُ والذئابُ لم أرُدَّ قضاءَ قضاه رسول الله ﷺ. قال: فإنَّ الأنصار أمروني أن أبلِّغَكَ أنَّهم يطلبونَ إليك أن تُوَلِّي أمْرَهُمْ رجلاً أقدَمَ سِنّاً من أسامة، فوثبَ أبو بكر ـ وكان جالساً ـ فأخذ بِلِحْيةِ عمرَ وقال: ثَكِلَتْكَ أمُّكَ

(١) عيناً: جاسوساً.
(٢) وفي «الكنز»: منفذاً ـ بدل: فغزا.
(٣) «غارون»: غافلون.
(٤) حدّهم: شوكتهم وقوّتهم.
(٥) ثَقَل: يقال لكل خطير نفيس والمراد هنا عائلة رسول الله ﷺ.

وَعَلِمَتْكَ يا ابنَ الخطّاب! اسْتَعْمَلَهُ رسولُ الله ﷺ وتأمُرُني أنْ أنزعَهُ؟! فخرج عمر إلى الناس؛ فقالوا له: ما صنعتَ؟ فقال: امضوا ثكلتكم أمهاتكم، ما لقيت في سببكم اليوم من خليفة رسول الله!!

مشايعة أبي بكر جيش أسامة

ثم خرج أبو بكر حتى أتاهم فأشجعهم وشيّعهم، وهو ماشٍ وأسامة راكب، وعبد الرحمن بن عوف يقودُ دابة أبي بكر رضي الله عنهم. فقال له أسامة: يا خليفةَ رسولِ الله، لتركبنّ أو لأنزلنّ، فقال: واللهِ لا تنزلُ، وواللهِ لا أركبُ؛ وما عليّ أن أُغبّرَ قَدَمَيّ ساعة في سبيل الله، فإنّ للغازي بكلّ خطوة يخطوها سبع مائة حسنة تكتب له، وسبع مائة درجة ترفع له، وتُمحى عنه سبع مائة خطيئة، حتى إذا انتهى. قال له: إن رأيتَ أنْ تعينني بعمر بن الخطاب فافعلْ، فأذِنَ لَهُ. كذا في مختصر ابن عساكر (١/ ١١٧)، وكنز العمال (٥/ ٣١٤). وذكره في البداية (٦/ ٣٠٥) عن سَيْف عن الحسن مختصراً.

إنكار أبي بكر على المهاجرين والأنصار إذ كلموه في إمساك جيش أسامة

وأخرج ابن عساكر أيضاً عن عروة قال: لما فرغوا من البَيْعة واطمأنّ الناس، قال أبو بكر لأسامة: (امضِ لوجهك[١] الذي بعثك له رسولُ الله ﷺ). فكلّمه رجالٌ من المهاجرين والأنصار، وقالوا: أمسِكْ أسامة وبَعْثَهُ[٢]، فإنّا نخشى أن تميل علينا العربُ إذا سمعوا بوفاة رسول الله ﷺ. فقال أبو بكر - وكان أحزَمَهُمْ أمراً - أنا أحبس جيشاً بعثه رسول الله ﷺ؟! لقد اجترأت على أمر عظيم!! والذي نفسي بيده، لأنْ تميلَ عليّ العرب أحبُّ إليّ من أن أحبس جيشاً بعثه رسول الله ﷺ!! امضِ يا أسامة في جيشك للوجه الذي أُمِرتَ به، ثم اغزُ حيث أَمَرَكَ رسولُ الله ﷺ من ناحية فلسطين، وعلى أهل مؤتة، فإنّ الله سيكفي ما تركت، ولكن إنْ رأيتَ أن تأذن لعمر بن الخطاب فأستشيره وأستعين به، فإنه ذو رأي، ومناصحٌ للإسلام، فافعل، ففعل أسامة. ورجع عامة العرب عن دينهم، وعامة أهل المشرق وغَطَفان وبنو أسد، وعامة أشْجَع، وتمسكت طيّء بالإسلام.

وقال عامة أصحاب النبي ﷺ: أمسك أسامة وجيشه، ووجّههم إلى من ارتدّ عن الإسلام من غَطَفان وسائر العرب. فأبى أبو بكر أن يحبس أسامة وجيشه، وقال: إنكم قد

---

(١) الوجه: هنا الجهة. (٢) البعث: الجيش.

علمتم أنه قد كان من عَهد رسول الله ﷺ إليكم في المشورة، فيما لم يمضِ من نبيكم فيه سنة، ولم ينزل عليكم به كتاب، وقد أشرتم وسأشير عليكم فانظروا أرشدَ ذلك فأتمروا به، فإنّ الله لن يجمعكم على ضلالة؛ والذي نفسي بيده، ما أرى من أمر أفضل في نفسي من جهادِ مَنْ مَنَعَ منّا عِقالاً[1] كان يأخذه رسول الله ﷺ، فانقاد المسلمون لرأي أبي بكر، وَرَأَوْا أنه أفضلُ مِنْ رأيهم. فبعث أبو بكر حينئذ أسامة بن زيد لوجهه الذي أمره به رسولُ الله ﷺ، فأصيبَ في الغزو مصيبة عظيمةً، وسلّمه الله وَغَنَمَهُ هو وجيشه وردّهم صالحين. وخرج أبو بكر رضي الله عنه في المهاجرين والأنصار حين خرج أسامة، وهربت الأعراب بذراريهم. فلما بلغ المسلمين هربُ الأعراب بذراريهم، كلّموا أبا بكر وقالوا: ارجع إلى المدينة وإلى الذراري والنساء، وأمّرْ رجلاً من أصحابك على الجيش واعهد إليه[2] بأمرك، فلم يزل المسلمون بأبي بكر حتى رجع، وأمّر خالد بن الوليد رضي الله عنه على الجيش، فقال له: إذا أسلموا وأعطَوا الصدقة؛ فمن شاء منكم أن يرجع فليرجع؛ ورجع أبو بكر إلى المدينة. كذا في مختصر ابن عساكر (١/ ١١٨). وذكره في الكنز (٥/ ٣١٤).

وقد ذكره في البداية (٦/ ٣٠٤) عن سيف بن عمر عن هشام بن عروة عن أبيه رضي الله عنهما قال: لما بويع أبو بكر وجمع الأنصار في الأمر الذي افترقوا فيه وقال: ليتمّ بعث أسامة، وقد ارتدّت العرب إما عامّة وإما خاصّة في كلّ قبيلة، ونجم[3] النفاقُ وَاشْرَأَبّت[4] اليهودية والنصرانية، والمسلمونَ كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية لِفَقْد نبيّهم ﷺ وقلّتهم وكثرة عدوّهم. فقال له الناس: إنّ هؤلاء جلّ المسلمين، والعرب على ما ترى قد انتقضت بك، وليس ينبغي لك أن تفرّق عنك جماعة المسلمين. فقال: (والذي نفس أبي بكر بيده، لو ظننتُ أن السّباع تخطّفني لأنفذتُ بَعثَ أسامة كما أمر به رسولُ الله ﷺ، ولو لم يبقَ في القرى غيري لأنفذته!!). قال ابن كثير: وقد رُوي هذا عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها. ومن حديث القاسم وعَمْرة عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما قُبِضَ رسولُ الله ﷺ ارتدت العرب قاطبة واشرأبّ النفاق، والله لقد نزل بأبي ما لو نَزَلَ بالجبال الراسيات[5] لَهاضَها[6]، وصارَ أصحابُ محمد ﷺ كأنهم بمعزى[7] مطيرة في

(١) العقال: هو الحبل الذي يعقل به البعير.
(٢) أعهد إليه: أي أوصه.
(٣) نجم: أي ظهر.
(٤) اشرأبّت: اشراب: مدّ عنقه وارتفع.
(٥) الراسيات: الثوابت الرواسخ.
(٦) لهاضها: لكسرها.
(٧) ضُربت المعزى مثلاً لأنها من أضعف الغنم في المطر والبرد.

حش[1] في ليلة مطيرة بأرض مُسْبِعة[2]، فوالله ما اختلفوا في نقطة إلا طار أبي بِخَطَلِها[3] وعِنانِها وَفَصْلِها. انتهى. وقد أخرجه الطبراني عن عائشة رضي الله عنها ـ بنحوه. قال الهيثمي (٩/ ٥٠) رواه الطبراني من طرق، ورجال أحدها ثقات.

وأخرج البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: والله الذي لا إله إلاّ هو لولا أنّ أبا بكر رضي الله عنه استُخلف ما عُبِدَ اللّهُ!! ثم قال الثانية، ثم قال الثالثة. فقيل له: مَهْ يا أبا هريرة. فقال: إنّ رسول الله ﷺ وجّه أسامة بن زيد في سبع مائة إلى الشام. فلمّا نزل بذي خُشُب قُبِضَ رسولُ الله ﷺ، وارتدّتِ العرب حول المدينة. فاجتمع أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا بكر رُدّ هؤلاء، تُوَجّهُ هؤلاء إلى الروم وقد ارتدّتِ العربُ حول المدينة؟! فقال: والذي لا إلٰهَ غيره لو جرّت الكلابُ بأرْجُلِ أزواج رسول الله ﷺ ما رَدَدْتُ جيشاً وجهه رسولُ الله، ولا حللتُ لواءً عقده رسول الله. فوجه أُسامة، فجعل لا يمرُّ بقبيلٍ يريدون الارتداد إلا قالوا: لولا أنّ لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم، ولكن نَدَعُهُم حتّى يَلْقُوا الروم، فَلَقُوا الروم فهزموهم وقتلوهم، ورجعوا سالمين، فثبتوا على الإسلام. كذا في البداية (٦/ ٣٠٥). وأخرجه أيضاً الصابوني في المائتين كما في الكنز (٣/ ١٢٩)، وابن عساكر كما في المختصر (١/ ١٢٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه ـ بنحوه. قال ابن كثير: عبّاد بن كثير ـ أي في إسناده ـ هذا أظنه البرمكي لرواية الفِرْيابي عنه، وهو متقارب الحديث، فأما البَصْرِيّ الثَّقَفِيّ فمتروك الحديث. انتهى. وقال في كنز العمال: وسنده ـ أي حديث أبي هريرة ـ حسن. انتهى.

قول أبي بكر عند وفاته لعمر رضي الله عنهما

وأخرج ابن جرير الطبري (٤/ ٤٣) من طريق سيف: أنّ أبا بكر مرض بعد مخرج خالد إلى الشام مرضته التي مات فيها بأشهر. فقدم المثنّى رضي الله عنه وقد أشفى[4]، وعقد لعمر رضي الله عنه فأخبره الخبر. فقال: عَلَيّ بعمر. فجاء فقال له: اسمعْ؛ يا عمرُ ما أقولُ لك ثم اعمل به، إنّي لأرجو أن أموت من يومي هذا ـ وذلك يوم الإثنين ـ، فإنْ أنا متُّ فلا تُمسِيَنّ حتى تَنْدُبَ الناسَ مَعَ المُثنّى، وإنْ تأخّرتُ إلى الليل فلا تُصبِحَنّ حتى تَنْدُبَ الناس مع المثنى، ولا يشغلنّكم مصيبة وإن عظمت عن أمر دينكم ووصيّة ربكم، وقد رأيتني مُتَوَفّى رسولِ الله ﷺ وما صنعتُ ولم يُصَبِ الخلق بمثله، وبالله لو آني أني[5] عن أمر الله

---

(١) حش: بستان ومجتمع نخل.
(٢) مسبعة: أي فيها السباع.
(٣) بفتح الخاء والطاء: الكلام الفاسد.
(٤) أشفى: قارب الموت.
(٥) أني: أتأخر وأتمهّل.

وأمر رسوله لخَذَلنا ولعاقَبَنا، فاضطرمت[1] المدينة ناراً. انتهى.

اهتمام أبي بكر الصديق رضي الله عنه لقتال أهل الرِّدَّة ومانعي الزكاة

مشاورة أبي بكر المهاجرين والأنصار في القتال وخطبته في هذا الشأن

أخرج الخطيب في رواة مالك عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما قُبض النبيّ ﷺاشرأبَّ النفاق بالمدينة، وارتدَّ العرب وأرعدت[2] العجم، وأبرقت[3] وتواعدوا نهاوند، وقالوا: قد مات هذا الرجل الذي كانت العرب تُنصَرُ به. فجمع أبو بكر رضي الله عنه المهاجرين والأنصار وقال: إنّ هذه العرب قد منعوا شاتهم وبعيرهم ورجعوا عن دينهم، وإنّ هذه العجم قد تواعدوا نهاوند ليجمعوا لقتالكم، وزعموا أنّ هذا الرجل الذي كنتم تُنصرون به قد مات، فأشيروا عَلَيّ فما أنا إلا رجلٌ منكم، وإنّي أثقلكم حِملاً لهذه البلية. فأطرقوا[4] طويلاً، ثم تكلّم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: أرَى ـ والله ـ يا خليفة رسول الله أن تقبلَ من العرب الصّلاة وتدعَ لهم الزكاة، فإنهم حديثوا عهد بجاهلية لم يمدّهم الإسلام، فإما أنْ يردّهم الله إلى خير، وإما أنْ يُعِزّ اللّهُ الإسلام فنقوى على قتالهم، فما لبقية المهاجرين والأنصار يَدان للعرب والعجم قاطبة. فالتفت إلى عثمان رضي الله عنه فقال مثل ذلك، وقال عليّ رضي الله عنه مثل ذلك، وتابعهم المهاجرون. ثم التفت إلى الأنصار فتابعوهم. فلما رأى ذلك صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد: فإنّ الله بعث محمداً ﷺ والحقُّ قِلٌّ شَرِيدٌ، والإسلام غريبٌ طريدٌ، قد رَثَّ[5] حَبْلُهُ، وقلَّ أهلُهُ، فجمعهم الله بمحمد ﷺ، وجعلهم الأمة الباقية الوُسْطى، والله لا أبرحُ أقُومُ بأمر الله وأجاهد في سبيل الله حتى يُنْجِزَ الله لنا وعده[6] ويفي لنا عهده، فيقتل من قُتل منّا شهيداً في الجنة، ويبقى من بقي منا خليفة الله في أرضه ووارث عباده. قضى الله

(١) اضطرمت: اشتعلت.
(٢) في الأصل «ارتدت» والصواب «أرعدت» كما هو الظاهر حيث لم يكن إسلام في العجم في هذا الوقت.
(٣) أبرقت: تهددت وأوعدت.
(٤) أطرق: سكت فلم يتكلم.
(٥) رث: أي ضعف.
(٦) في الأصل «حتى ينجز الله لنا ويفي» والصواب ما أثبتنا.